جدليّة الرؤية الأنسنيّة والرؤية العقديّة

د. سيد روح الله الموسوي*

الخلاصة

الأنسنة هي مدرسةٌ فكريّةٌ ظهرت في الغرب بالتزامن مع النهضة الغربيّة، تؤكّد على محوريّة الإنسان وليس الله، وتأمين سعادته الدنيويّة وليس الأخرويّة، بالاعتماد على العقل الإنسانيّ التجريبيّ وليس الوحي السماويّ. والعقيدة هي الحكم الذهنيّ الجازم الّذي ثبت لصاحبه بأنّه صادقٌ بالبرهان. والمراد من النسق العَقَديّ هو تلك المنظومة الفكريّة الحاصلة من المنهج البرهانيّ الّذي هو عبارةٌ عن الطريقة الاستدلاليّة على أساس النظريّة المبنائيّة. عالجنا في هذه المقالة شبهة جدليّة الرؤية الأنسنيّة والرؤية العقديّةالعَقَديّة وأشرنا إلى المشاكل الّتي تعاني منها الأنسنة في بعديها النظريّ والعمليّ حول رؤيتها الخاطئة للإنسان، الّتي تؤدّي إلى أزمة الهويّة والإفراط والتفريط في التعاطي مع الإنسان وفق المنهج العقليّ. وفي المقابل وضّحنا أيضًا صورة الإنسان في النسق العَقَديّ الصحيح المرتكز على المبنائيّة والبرهان، وبيّنّا مدى صحّتها وانسجامها مع الواقع والفطرة الإنسانيّة.

المفردات الدلاليّة: الأنسنة، العقيدة، العقل، البرهان، النسق العَقَديّ، الإنسان، الله.

(*) روح الله الموسوي إيران، طالب دكتوراه في قسم الفلسفة، جامعة طهران.

s.r.moosavi@ut.ac.ir

مقدّمة

أصبحت النظرة الأنسنيّة ومفاهيمها اليوم شائعةً في الغرب، بحيث فرضت نفسها ورؤيتها على أغلب الاتّجاهات والفعاليات الفكريّة هناك. وليست الأنسنة مجرّد مدرسةٍ من المدارس الفكريّة والفلسفيّة أو في عرضها، بل تُعدّ الخلفية الفكريّة لكثيرٍ من المدارس والنظريّات الفلسفيّة كالليبراليّة والعلمانيّة والماركسيّة وغيرها من المذاهب الّتي نشأت عن الأنسنة. أثّرت الأنسنة بشعاراتها الخلّابة على البعض في عالمنا الإسلاميّ، فادّعوا بأنّ الأنسنة الّتي جعلت الإنسان في مركز اهتمامها وتركت التعبّد لله، كرّمت الإنسان وضمنت له السعادة والأمان وجعلته حرًّا، وأتت له بمكتسباتٍ مثل قانون حقوق الإنسان، واستطاعت أن تقود البشريّة إلى هٰذا التطوّر الهائل في العلوم والتكنولوجيا، كلّ ذٰلك نتيجة استغنائها عن الوحي، واكتفائها بما يملكه البشر من الطاقات، ولا سيّما العقل التجربيّ؛ ولذٰلك فهم يعتقدون بأنّ الأنسنة أو مذهب الإنسان أفضل وأكثر فائدةً من الدين والعقيدة. بل ادّعى بعض المتنوّرين بأنسنة الدين أو بقراءةٍ أنسنيّةٍ للدين. تسعى هٰذه المقالة وبمنهجٍ عقليٍّ بحتٍ أن تدرس مدى صحّة هٰذا الادّعاء، وتحاول أن تجيب عن هٰذا التساؤل: هل علينا أن نقوم بأنسنة العقيدة، أو ينبغي أن ننقد الأنسنة ونقيّمها اعتمادًا على المنظومة العَقَديّة؟

أوّلًا: التعريفات

1: الأنسنة

الأنسنة (النزعة الإنسانيّة) هي مصطلحٌ عربيٌّ يُستخدم ليعبّر عن humanism، وهي رغم تعدّد معانيها [Law, Humanism: A Very Short Introduction,

16] بيـــد أنّها في معناها العامّ نظامٌ فكريٌّ احتلّت فيه القيم والنفعيّة والكرامة الإنســـانيّة مكانةً بالغةً بصورةٍ خاصّةٍ [المصدر نفسه]. ظهرت هٰذه النزعة بصورةٍ تدريجيّةٍ في الغـــرب في عصر النهضة لتصبح الرؤية العامّة والنظرة النموذجيّة والموقف المهيمن (Superparadigm) الّذي ظهرت في أحضانه وترعرعت سائر المدارس الفكريّة الغربيّة. ومن المثير أنّنا إذا راجعنا الاشـــتقاق فســـنرى أنّ للمصطلحين human بمعنى الإنسان وhumble بمعنى المتواضع جذرٌ واحدٌ وهو مفردة humus في اللاتينيّة بمعنى التراب، ومنها humanus في اللاتينيّة بمعنى الترابيّ أو الإنســـان[Davies, Humanism, 126]. في المقابل تســـتخدم مصطلحات deus, divus, divinus في اللاتينيّة بمعنى الآلهة وســـكّان السماء. كان العلماء ورجال الديـــن في نهايات القرون الوســـطى يميّزون بـــين divinitas (العلوم والأنشطة المســـتنبطة من الكتاب المقدّس) وhumanitas (ما يرتبط بالأمور العمليّة في الجانب غير الدينيّ للحياة)، وبما أنّ القســـم الأخير كان يســـتقي أغلب مصادره وإلهاماته مـــن اليونان القديمة، فقد أطلق مترجمون إيطاليّون على هٰذه المصادر ومعلّميها عنوان umanisti بمعنى humanist أو إنسانيٌّ [المصدر نفسه]، أمّا الأنسنة اصطلاحًا فهٰكذا عرّفها معجم وبستر:

«هي عقيـــدةٌ أو موقفٌ أو طريقـــة حياةٍ تتمحور حـــول المنافع أو القيم الإنسانيّة، أو الفلسفة الّتي ترفض عادةً ما وراء الطبيعة، وتشدّد على كرامة الفرد وقيمته وقدرته على تحقيق الذات من خلال العقل» [Webster, 2005].

2: العقيدة

العقيدة في اللغة مأخوذة من العقد نقيض الحلّ [ابن سيّده، المحكم والمحيط الأعظم، ج1، 165] والعقيدة على وزن فَعِيلَةٌ بمعـــنى مَفْعُولَةٌ، وتعني الْمُعْتَقَدَ أو الشيء

الْمُعْتَقَدَ، وقيل إنّها مَا يَدِينُ الْإنسان بِه [الفيّوميّ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيّ، ج 2، ص 421].

أمّا بالنسبة إلى التعريف الاصطلاحيّ، رأى بعض المحقّقين أنّ العقيدة أمرٌ وجدانيٌّ، فيكون غنيًّا عن التعريف، في حين حاول البعض أن يقدّموا تعريفًا للعقيدة بقولهم: «ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل» [الجرجانيّ، كتاب التعريفات، 66]. والبعض الآخر عرّفها بأنّها الرأي المشترك بين أتباع مذهبٍ واحدٍ، مثل العقيدة الرواقيّة أو العقيدة الماركسيّة. وقدّم البعض تعريفًا للعقيدة مع ذكر تقسيماتها، فبعدما عدّ العقيدة أو الاعتقاد تصديقًا قال: «حيث هو (الاعتقاد) تصديقٌ فلا بدّ فيه من الحكم بمتصوّرٍ على متصوّرٍ، فذٰلك الحكم إن كان جازمًا مطابقًا ثابتًا فهو العلم، وإن كان جازمًا مطابقًا غير ثابتٍ فهو التقليد المحقّ، وإن كان جازمًا غير مطابقٍ فهو جهلٌ مركّبٌ» [الفاضل المقداد، إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، 97].

وذهب بعض المؤلّفين إلى وجود اختلافٍ جذريٍّ بين العقيدة والاعتقاد، فأوردهما في مدخلين منفصلين من معجمه الفلسفيّ، وعدّ العقيدة بمعنى Dogma(*) والاعتقاد بمعنى belief(**) [صليبا وصانعي، فرهنگ فلسفي، 147] ولٰكنّ الظاهر ترادفهما كما صرّح به المؤلّف نفسه في مدخل العقيدة. نعم يمكن القول إنّ العقيدة هي مورد الاعتقاد وموضوعه، في حين أنّ الاعتقاد هو حالة

(*) عرّف معجم أكسفورد لفظ dogma :

a principle or set of principles laid down by an authority as incontrovertible.

(**) هٰكذا عرّف معجم أكسفورد لفظ belief :

an acceptance that something exists or is true, especially one without proof - a firmly held opinion or conviction - a religious conviction.

الذهن والنفس بالنسبة إلى العقيدة.

وأخيرًا، إنّ مفهوم العقيدة في أذهان المتكلّمين اليوم ـ الّذي نقصده هنا ـ هو ذٰلك الحكم الذهنيّ الجازم الّذي ثبت صدقه على أساس المنطق والبرهان، والمراد من النسق العَقَديّ هو تلك المنظومة الفكريّة الحاصلة من المنهج البرهانيّ أو الطريقة الاستدلاليّة المرتكزة على البنائيّة الّتي تنتج هٰذا النوع من العقيدة.

ثانيًا: الإنسان و النظرة الأنسنيّة

1. تاريخ الأنسنة

إنّ الأنسنة والنهضة توأمان؛ ولذٰلك فإنّ كلّ العوامل المؤثّرة في ظهور النهضة مؤثرةٌ في تكوين الأنسنة أيضًا. وهٰذه العوامل ترجع أساسًا إلى القرون الوسطى المسيحيّة، الّتي تؤدّي دراستها إلى فهم كيفيّة وصول ذٰلك المناخ الثقافيّ والسياسيّ إلى النهضة والنظرة الأنسنيّة. لقد كانت القرون الوسطى الأوربّيّة تعرف بهيمنة الكنيسة على الحياة الفكريّة والثقافية في العالم الغربيّ، فلقد كانت تنظر إلى الإنسان على أنّه مذنبٌ يولد بالخطيئة الأصليّة، كما أنّها كانت تحكم بتمايز الدين والدنيا وتعارضهما، وأنّ العقل يوصف كالعدوّ اللدود للإيمان عند المسيحيّين في الأعمّ الأغلب [Wilkens, Faith and Reason: Three Views, 9]. كأنّ على الإنسان أن يختار بين الدين والدنيا والمعنويّات والمادّيّات ولا مجال للجمع بينهما. هٰذا بالإضافة إلى مواجهة الكنيسة القاسية للعلماء، ونقصان المفاهيم الدينيّة والكلاميّة المسيحيّة أو ضعفها، والاعتقاد بتساوي النظريّات الفلسفيّة والعلميّة القديمة مع المعطيات الوحيانيّة، كلّ ذٰلك مهّد

الأرضيّة لتغيير رؤية الأنســان الغربيّ، وخلق الأجواء المناسبة لاتّجاهه نحو الأنســنة. كان رجال الدين المسيحيّون الّذين يُعرفون بالعلماء البروتستانتيّين هم الروّاد في الاتّجاه الّذي كان يدعو إلى التغيير، ولٰكنّ المفكّرين اللادينيّين هم الّذين قاموا بعدهم بالدور الأســاس في تغيير وجهة الناس من السماء إلى الأرض، ومن الدين إلى الفلسفة العلمانيّة. وعلينا أن لا ننسى الدور الاستثنائيّ للفنّانين والنخب المثقّفة في هٰذا التغيير، وفي حدوث هٰذا المنعطف التاريخيّ الخطير. فهم كانوا المحرّك الأوّل والعامل الأقدم في تغيير رؤية الناس الكونيّة وذوق المجتمع الفكريّ(*) . لقد كانت الأنســنة في بداياتها في عصر النهضة حركةً ثقافيّةً وفنّيّةً وأدبيّةً، وتختلف الرسوم الّتي كانت على جدران الكنيسة في عصر النهضة عمّا كانت عليه في القرون الوســطى. لقد عُرض الإنســان في هٰذه الرســوم بصورةٍ غير مســبوقةٍ في عرض الإله، وبصورةٍ عاريةٍ تشبه الفنّ اليونانيّ القديم، ومن المثير أنّ يقظة العقل الأنســنيّ أيضًا كانت تؤخذ بعين الاعتبار في الرجوع إلى مدرسيّات اليونان وروما ودراستها [Lamont, The Philosophy of Humanism, 22]. وقــد لمحت أولى شرارات هٰذه الرؤية الثقافيّة في إيطاليا، كما ترجع الجذور الفلســفيّة لها إلى البلد نفســه، وإلى عالمٍ شاعرٍ باسم فرانجســكو بترارك (Francesco Petrarch]. ومع أنّه كان رجلًا مسيحيًّا كاثوليكيًّا متديّنًــا، إلّا أنّه جاء بآراءٍ جديدةٍ في الفكر المســيحيّ أصبحت موضع النقاش بين المفكّرين، ومرجعًا للأنســنيّين في القرون اللاحقة. وقد كان يقول: «إنّ الإله قد أعطى البشر قدراتهم الفكريّة والإبداعيّة الواســعة

(*) للاطّلاع التفصيلّي الفلسفّي على كيفيّة تأثير الفنّ على النهضة العلميّة في أوربّا راجع المصدر التالي:

The role of art in the Scientific Renaissance' by Giorgio de Santillana' 'In Critical Problems in the history of Science', edited by Marchall Clagett, Univ of Wisconsin Press, 1969.

لاستخدامها على أكمل وجهٍ، وهٰذا ممّا كان يدعو إلى تسليط الضوء على دور الإنســان وإرادته وقدراته في تعيين مصيره» [Faryde, Humanism and Renaissance Historiography, 56]. وقد كان بترارك من جملة الباحثين المهتمّين بإحياء الآثار المتبقّية من اليونانيّين القدامى وتفسيرها.

ولا تخفى في هٰــذه الفكرة بوادر الفكر العلمــانيّ كذٰلك، ومع كلّ هٰذا كان الوجه الفنّيّ والثقافيّ هو الغالب على الأنسنة حتّى أواسط القرن الثامن عشر، إذ بدأت دورةٌ جديدةٌ للأنســنة تســمّى بالأنســنة التنويريّة غلب عليها الطابع الفلســفيّ والفكريّ أكثر من الطابع الفنّيّ والثقافيّ، وتبدّلت إلى نظامٍ فلســفيٍّ أو مدرســةٍ فكريّةٍ تنحصر العناية فيها على تنظيم الحياة الدنيويّة والمجتمع الإنسانيّ بالعقل الإنســانيّ المادّيّ. وهٰذا التيّار الفلسفيّ كان يتعامل مع المســيحيّة كأنّها أسطورةٌ تنسجم مع أوهام الناس العاديّين وحوائجهــم الأخلاقيّــة، إذ لا ينبغي لأصحاب الفكــر أن يأخذوها ـ أي المســيحيّة ـ على محمل الجدّ. ومع أنّهم كانوا يعدّون أنفســهم مسيحيّين، لٰكن كانوا ينظرون إلى العقل على أنّه المصدر الأفضل والأولى للمعرفة. وبلغ الأمر في تطوّر هٰذا التيّار الفلســفيّ إلى التصريــح الصارخ بما كان يضمره ســابقًا، وهو إنكار وجود الإله والحقائــق الميتافيزيقيّة؛ الأمر الّذي جعل سقوط هٰذا التيّار في يد الملحدين أمرًا حتميًّا، وهم اليوم الّذين يُعرفون بمن ينادي للأنسنة بتفســيرهم الخاصّ لها، ويدافعون عنها وينظّرون لها. لقد ترك فكر الأنســنة أثره العمليّ على المجتمــع الغربيّ بالتدريج، فأخرج هٰذا التيّار الفكريّ الحكومة من يد الكنيســة على الرغم من أنّ المنهج الغالب المتّبع في دراسة الأمور بشــكلٍ عامٍّ لا زال قائمًا على النظرة المسيحيّة. وعلى ســبيل المثال عارض المذهب البروتســتانتيّ المتأثّرُ بالاتّجاه الأنسنيّ غاليلو

فيما ذهب إليه من محوريّة الشـــمس؛ على اعتبار أنّ ذٰلك غير منسجمٍ مع المنهج المســـيحيّ. ولٰكنّ تغيّر هٰذا المنهج شيئًا فشيئًا، وفي خطوةٍ ثانيةٍ أصبح المنهج التجريبيّ هو المنهج الوحيد المعتبر في دراسة الأمور في ظلّ الإنجازات العلميّة والتطـــوّرات الصناعيّة الهائلة في الغرب. ثمّ تزامنت الخطوة الثالثة للأنســـنة مع عصر التنوير والحداثة، حيث انصبّت جلّ اهتمامات الغرب على الإنســـان وتلبية حوائجه المادّيّة. وفي عام 1933 أصدر التيّار الأنســـنيّ أوّل بيانٍ رســـميٍّ له، وخلافًـــا للبيانات اللاحقة عُرّفت الأنســـنة فيه دينًا جديدًا بدلًا من الأديان الســـابقة الّتي كانت تتبنّى الوحي أساسًـــا لها. وقد أعدّ مسوّدة البيان كلٌّ من روي وود سلارز (Roy Wood Sellars) ورايموند براك (Raymond Bragg) ووقّع عليه 34 شـــخصًا من جملتهم الفيلســـوف المعروف جون دِيُوي (John Dewey). يشـــير الأصـــل الأوّل من هٰذا البيان إلى أنّ العالم غير مخلـــوقٍ [Lamont, The Philosophy of Humanism, 311-315]. ثمّ صدر البيان الثـــاني عام 1973 تحديثًا للبيـــان الأوّل، وأُعرب فيه عن أنّ النازيّة والحـــرب العالمية الثانية أثبتتا بأنّ البيـــان الأوّل كان متفائلًا أكثر من اللازم. فكان من أكثر العبارات نقلًا ممّا جاء في البيان الثاني هي: «لن ينجينا إلٰهٌ، يجب علينا أن ننجي أنفســـنا بأنفســـنا» [ibid, 318-327]. وأخيرًا أصدر المنتدى الأنسنيّ الأمريكيّ البيان الثالث للأنسنة عام 2003 بصورة أكثر إيجازًا بالنســـبة إلى البيانين السابقين [www.americanhumanist.org]. كان الملحد المعروف الفيلســـوف أنتوني فلو، الّذي رجع عن إلحاده عام 2004، من الموقّعين المعروفين على البيان الثاني والثالث، ورأس الإلحاد ريتشـــارد دوكِنز، العالم الفيزيائي، من الموقّعين على البيان الثالث.

2. عناصر الأنسنة وميزاتها

توجد أنواع متعدّدةٌ من الأنسنة في عالمنا المعاصر مثل الأنسنة العلمانيّة (Secular Humanism)، والأنسنة الدينيّة (Religious Humanism)، والأنسنة الماركسيّة (MarxistHumanism)، والأنسنة الأخلاقيّة (EthicalHumanism)، والأنسنة الطبيعيّة (Naturalistic Humanism)، والأنسنة الديمقراطيّة (Democratic Humanism)، والأنسنة العلميّة (Scientific Humanism) [Pinn, What is Humanism and Why Does it Matter?, 134] و... وقد استُخدم مصطلح في معانٍ متعدّدةٍ يصعب على المرء إحصاؤها [Vaughn & Dacey, The Case for Humanism: An Introduction, 5] يبدو أنّ كلّ المدارس الّتي تتّسم بصفة الأنسنة تشترك في بعض الميزات الّتي سنذكرها فيما يأتي، خاصّةً وأنّنا نقصد بالأنسنة هنا تلك المدارس الّتي تشترك في تلك المواصفات(*).

3. الميزات المشتركة للأنسنة

أ. الإنسان هو المحور في الأنسنة وليس الإله على عكس ما تعتقد به الأديان. فليس في الوجود شيءٌ ـ حتّى الله ـ أهمّ وأغلى من الإنسان، بل إنّ «استبدال محبّة الإله بمحبة الإنسان هي في طريق تطوّر النوع الإنسانيّ» كما يعتقد إريك فروم (Erich Fromm) المفكّر الأنسنيّ المعروف [Fromm, The Art of Loving, 73-74]. فالإنسان هو مالك الكون وكلّ شيءٍ يبدأ منه وينتهي إليه،

(*) للاطّلاع على بعض التعاريف المعروفة للأنسنة راجع الصفحة 7، وللاطّلاع على 17 موردًا من المعتقدات الفلسفيّة لأتباع مدرسة الأنسنة راجع الصفحة 9 من كتاب:
The Case for Humanism: An Introduction, by Lewis Vaughn, Austin Dacey

كلّ شيءٍ، حتّى الإلٰه هو للإنســان ويتوجّب أن يكــون تحت تصرّفه؛ وبناءً على هٰذا ليس على الإنســان تكليفٌ تجاه غــيره، ولا يحقّ لأحدٍ أن يجعل له قيدًا أو حدًّا. وليس هناك قيمٌ مطلقةٌ وراء الإنســان. هٰكذا يحتلّ الإنسان في الأنســنة مقام الإله ، والإله إمّا يُحذف أو يكون تابعًا للإنسان الّذي أضحى مصبوغًا بنوعٍ من القداســة. بل بلغ الأمر إلى الحدّ الّذي قبل فيه أوغســت كونت بأنّ الإنسان في كلّ الأزمان يستحقّ العبادة [Committee, The Experiences and Challenges of Science and Ethics, 61]. وبهٰــذا تتعارض الأنســنة مع الأديان، وتؤدّي هٰذه الرؤية إلى الدور المحوريّ للفرديّة ومحوريّة الـ "أنا" الإنســانيّة في بلورة رؤانا عن الوجود والمعرفة والأخلاق.

ب. الحيــاة الدنيويّــة هي حياتنــا الوحيــدة [Law, Humanism: A Very Short Introduction, 2] وفرصتنــا الأولى والأخيرة، فيجب أن يكون هدف الإنســان الأساسيّ تنظيم حياته الفرديّة والاجتماعيّة في هٰذه الدنيا، وليس الاهتمام بما يريده الله منه، أو الالتفات إلى الســعادة الأخرويّة. في الواقع، قيمة الأنسان وأفضليّته تتحدّد بهٰذه القدرة الّتي تمكّنه من تنظيم حياته الدنيويّة وتدبيرها، وليــس بأنّ يكون له بُعدٌ ملكوتيٌّ؛ فالهدف من الحياة هو بناء الدنيا والحصول على حياةٍ دنيويّةٍ أفضل، وليس الوصول إلى الرقيّ المعنويّ والقرب الإلٰهيّ.

ج. يعــدّ العقل القائم بالذات هو البعد الأســاسيّ في الوجود الإنســانيّ [Luik, Humanism, 3672] ؛ ولذا يســتغني الإنسان بعقله في معرفة نفسه والوجود والسعادة وطريق الوصول إليها. فبإمكان العقل الإنسانيّ معرفة القيم الأخلاقيّة والحقوقيّة، ولا يحتاج إلى الدين والوحي لمعرفة كيفي تكون الحياة الأخلاقيّة. وللعقل القدرة على وضع معايير الحقوق والدستور والحكومة الصالحة أيضًا، وهٰذا يُغني الإنســان عن الدين والتعاليم الوحيانيّة، وبهٰذا تكون العلمانيّة

عنصرًا من عناصر الأنسنة.

د. أنّ العقل المقصود في الأنسنة هو العقل التجريبيّ والاستقرائي المستخدم في المنهج العلميّ؛ ولذلك يعدّ الاعتماد على المنهج العلميّ دون الرجوع إلى الدين والوحي اعتمادًا عقلانيًّا [Norman, On Humanism, 53]. وفي الواقع، تعتقد الأنسنة أنّ الأمر الّذي لا ينكشف بالعقل التجريبيّ غير قابلٍ للكشف مطلقًا، بل يعتقد بعضهم بعدم وجوده؛ لأنّ ما لا يمكن كشفه للإنسان فهو غير موجودٍ حسب اعتقادهم، وبهذا يغدو الأنسنيّون ملحدين، أو على الأقلّ لا أدريين [المصدر السابق].

هـ. يملك الإنسان وجوده ومصيره، وهو موجودٌ عالِمٌ مريدٌ ومختارٌ، وليس خاضعًا للطبيعة والتاريخ. والاعتقاد التامّ بقدرة الإنسان على المعرفة ومن ثمّ التحكم في مصيره وفي الطبيعة يقع في صلب اهتمام كلّ مدارس الأنسنة [Soper, Humanism and anti-humanism, 14]. «يستطيع الإنسان أن يغيّر الطبيعة مع أنّه منها» [Kurtz, Embracing the Power of Humanism, 4]. فهو يستطيع أن يغيّر رؤيته وسلوكه ويستطيع أن يتسلّط على الطبيعة والتاريخ. ويعتقد الأنسنيّون أنّ البشر يشكّلون السلطة العليا، وبالتالي فإنّهم مسؤولون أمام أنفسهم فقط. والإنسان موجودٌ قائمٌ بالذات، وهو بنفسه الفاعل والغاية، وهو المسؤول عن أفراحه وأتراحه، ومصيره يكون بيده، وينبغي أن يغيّر مصيره والطبيعة بالاتّكاء على ذاته فحسب.

ثالثًا: نقد الأنسنة

تعاني الأنسنة من مشاكل عديدةٍ من الناحية النظريّة والعمليّة. فمن الجانب النظريّ، تعاني من الضعف المعرفيّ والافتقار إلى رؤيةٍ كونيّةٍ صحيحة.

ولا يسعى أتباع الأنسنة إلى تقديم دليلٍ منطقيٍّ رصين لإثبات مدّعاهم، بل يتشبّثون بالأنسنة في سياق ردّ فعلٍ على تسلّط الكنيسة الظالم على الشعوب الغربيّة من جانبٍ، واشتياق الناس إلى أفكار الروم واليونان المكتفية بالعقل من جانبٍ آخر، والحال أنّ الأنسنة ليست هي الطريق الوحيد للتخلّص من تلك المعاملات القاسية والظالمة من قِبل الكنيسة، وليس اشتياق الناس إلى العقل الرومانيّ واليونانيّ دليلًا صحيحًا على الحقّانيّة.

وأمّا من الناحية العمليّة، فليس من الصعب ملاحظة إخفاق العقل الأنسنيّ الحاكم على الغرب في ضمان السعادة للبشر. فضعف عقل الإنسان العمليّ وفقدان المعرفة الصائبة بالقيم سبّب الكثير من المشاكل والمآزق العمليّة الّتي تركت بصماتها الواضحة على حياة الإنسان. فالإنسان الغربيّ المبتعد عن الدين بدعوى تمسّكه بقيم الأنسنيّة ارتكب أفضع الجرائم الإنسانيّة، مثل الحربين العالميّتين، واستعمار البلدان الضعيفة، وإنتاج أسلحة الدمار الشامل واستعمالها و...، حتّى وصل الأمر بالأنسنيّين إلى أن ينعتوا البيان الرسميّ الأوّل للأنسنة بأنّه متفائلٌ للغاية، وقاموا بتعديله في بيانٍ ثانٍ.

نشير فيما يلي إلى بعض المشاكل المعرفيّة الّتي تعاني منها الأنسنة:

1. لعلّ أهمّ المشاكل الّتي تعاني منها الأنسنة هي رؤيتها الخاطئة تجاه الإنسان، هذه الرؤية الّتي تبعد عن حقيقة الإنسان كثيرًا، وهي مثقلةٌ بأعباءٍ من الاغتراب وأزمة الهويّة ، فالإنسان يدرك بفطرته أنّ هناك إلهًا ويبحث عن طرق الارتباط به؛ لكي يرجع ويأوي إلى مبدئه اللامتناهي، في حين تعمل الأنسنة على قطع هٰذه الصلة الذاتيّة، وتترك الإنسان ونفسه وتبعده عن هويّته الملكوتيّة. وفي الحقيقة أنّ من ابتعد عن الإله ، فقد ابتعد عن هويّته

الحقيقيّة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [سورة الحشر: 19]. ومن جانبٍ آخر، تركت الأنسنة الجانب الروحيّ على الرغم من أنّه البعد الأهمّ في الإنسان المتشكّل أساسًا من الجسم والروح. وأيّ اغتراب أفجع من أن يكون الإنسان غريبًا عن أهمّ أبعاده الوجوديّة، إضافةً إلى ذٰلك فإنّ الأنسنة، مع تجاهلها للروح الإنسانيّة، تكون قد غفلت عن العنصر الرئيسيّ في سعادة الإنسان وتحصيل الكمالات والفضائل؛ بناءً على ذٰلك، تتّصف الرؤية الأنسنيّة تجاه الإنسان بأنّها محدودة النطاق تتمحور حول السعادة الدنيويّة فقط، في حين أنّ الدين لا يحصر اهتمامه بالإنسان في تحصيل السعادة الدنيويّة فحسب، بل يُقدّم تعاليمه للوصول بالإنسان إلى السعادة الأخرويّة أيضًا، والّتي لها الأولويّة على السعادة الدنيويّة؛ لأنّ عالم الآخرة هو مكان الحياة الأبديّة، وليست الحياة الدنيويّة الّتي ما هي إلّا لعبٌ ولهوٌ. إنّ نظرة الأنسنة الخاطئة والسطحيّة حول حقيقة الإنسان تترك آثارها على منظومة المفاهيم المتعلّقة بالإنسان، مثل حقوق الإنسان، وكرامته، وسعادته و...، فتصبغها بالسطحيّة وتجعلها خاطئةً أيضًا؛ ولذٰلك يصرّح إريك فروم بأنّ الإنسان الغربيّ يعاني من أزمة الهويّة؛ حيث تبدّلت حقيقة الإنسان إلى شيءٍ آخر في المجتمع الصناعيّ فاقدٍ للهويّة [Fromm, The Art of Loving, 90].

2. ليست المعرفة التجربيّة هي المنبع الوحيد للمعرفة. بل هناك طرقٌ أخرى لكسب المعرفة كالعقل والشهود والوحي، بَيْدَ أنّنا وجدنا أنّ الرؤية الأنسنيّة تعتمد على المنهج التجريبيّ فقط، وتعوّل عليه على نطاقٍ واسعٍ يشمل حتّى العلوم الإنسانيّة، مثل علم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما. ومن جانبٍ آخر فإنّ عالم العين والواقع ليس محدودًا بالعالم المادّيّ، بل يشمل العالم الميتافيزيقيّ الّذي تقصر يد التجربة عن نيله أيضًا، أضف إلى ذٰلك القول إنّ "القضيّة الّتي تقبل التجربة لها معنًى دون غيرها" ـ والّتي تقول بها الوضعيّة

المنطقيّة ـ نفسها ليســت قضيّةً تجريبيّةً ولا تقبل التجربة، فليس لها معنًى أيضًا، وهٰكذا تبطل نفسها بنفسها. أمّ نحن فنعتقد مبدئيًّا بإمكانيّة حجّيّة كلٍّ من الحسّ والعقل والشــهود والوحي في الدائرة الخاصّة بكلٍّ منها، ولا يصحّ استبدال أيٍّ منها بالآخر.

3. تؤدّي الأنســنة في بعدها المعرفيّ إلى السفســطة؛ لأنّ الإنسان عندهم هو محــور الحقائق فيها، وليس هنــاك معيارٌ أو ميزانٌ فوق معيار الإنســان الّذي هو المرجع في المعرفة الصحيحة. ولٰكنّ الســؤال الّذي يطرح نفسه بقوّةٍ هو: أيّ إنســانٍ هو المرجع والمعيار؟ تجيب الأنســنة بأنّ أيّ إنسانٍ بمفرده هو المعيار. ويتمخّض عن هٰذه الرؤية القول بالتعدّديّة المعرفيّة من جهةٍ والفرديّة من جهةٍ أخرى، وهما من الميزات والخصوصيّات الأساســيّة في الأنســنة. أمّا التعدّديّة المعرفيّة فتستدعي النسبيّة المعرفيّة الّتي تؤدّي بدورها إلى الشكّاكيّة المعرفيّة الّتي يرفضها كلّ عقلٍ سليمٍ. وهٰذه النسبيّة المعرفيّة، بعدما سرت إلى الأخلاق والقيم والحقوق، أنشأت الفرديّة الّتي تتعدّد معايير الحُسن والقبح على أساسها. وبناءً على ما سبق يتعذّر الوصول إلى التفاهم والوئام بين الناس؛ لأنّهم منغمسون في عوالمهم الخاصّة بهم، ومنبهرون بقناعاتهم، وهٰكذا يبعد الوصول أيضًا إلى الســلام العالميّ والتماســك بين مختلف شرائح المجتمع . فالأنسنة بالنظرة الدقيقة لا تؤدّي إلّا إلى الواقع المضادّ لما تتطلّع إليه وتهدف إليه.

4. تعاني الأنسنة من الإفراط والتفريط في رؤيتها إلى الإنسان، فمن جهةٍ تســقط في الإفراط حينما تجعل الإنسان في منزلة الإلوهيّة وتفرضه مستقلًّا غنيًّا، والحال أنّ الإنسان ممكنٌ محتاجٌ في أصل وجوده. ومن جهةٍ أخرى، تقع في التفريط بالنظر إلى التركيز على البعد غير الروحيّ للإنسان، والسعي لتلبية حوائجه المادّيّة فقــط، وانحصار الاهتمام بميــوله الطبيعيّة، وهٰكذا تكون

الأنســـنة قد أنزلت مقام الإنســـانيّة إلى الحيوانيّة. والنتيجة المتمخّضة من الجمع بين هاتين الجهتين هو أنّ الأنســـنة قد جعلت البعد الحيوانيّ للإنسان إلٰهــهُ، وهٰذا المعنى قريبٌ من مضمون الآية المباركـــة القائلة : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [ســـورة الفرقان: 43]. ولا غبـــار على وهن النظريّة في إفراطها وتفريطها، فكيف يمكن للإنسان الممكن المحدود المحتاج الّذي أوّله نطفةٌ وآخـــره جيفةٌ أن يكون إلٰهًا؟ والحال أنّ الله هو الموجود الواجب المطلق الغنيّ. نعم! قد كرّم الله الإنسان ونفخ فيه من روحه وجعله خليفته في الأرض، بينما جعل الأنسنيّون الإنسان بديلًا عن الله مع الاقتصار على جانبه الطينيّ فقط! هٰذا التعامل الإلوهيّ مع الإنسان الّذي تسافل إلى موجودٍ ذي ميولٍ حيوانيّةٍ، وحصر الجهد لتأمين منافعه المادّيّة ســـبّب الكثير من المشـــاكل والتناقضات للإنسان الحداثيّ، منها:

أ. اغترار الإنسان بنفســـه والوقوع في الليبراليّة الطائشة الّتي تُعدّ مصدرًا لكثيرٍ من المشاكل السياسيّة والأقتصاديّة والبيئيّة المعاصرة. فالإنسان الّذي يرى نفســـه محور الكون، ويرى أنّ تأمين حوائجه المادّيّة هو غاية الحياة، يشـــعر بأنّ له الحقّ في أن يتوسّل بالوســـائل والطرق بما فيها الاحتيال والخداع للوصول إلى أكثر المنافع، مثل ما تقـــوم به بعض الدول اليوم الّتي ترفع شعار الأنسنة باستغلال مفاهيم مثل حقوق الإنسان والاختباء خلفها لسحق حقوق الشعوب سياسيًّا واقتصاديًّا. أو مثلما قام الإنسان اليوم بتدمير البيئة بغية الانتفاع منها أكثر فأكثر.

ب. مفارقة الجانب النظريّ والعمليّ: فمن جهةٍ تطمح الأنسنة إلى سعادة الإنســـان في الدنيا مع توفير منافعه المادّيّة، وتؤسّس

لهـــا في مقام النظر والادّعاء، ومن جهةٍ أخرى وعلى المســـتوى العمـــليّ، تُلحق أضرارًا هائلةً بالإنســـان والإنســـانيّة، وذٰلك حينما تقتضي منافع الإنسان أن يظلم أخاه الإنسان من خلال الدفاع عن الاســـتبداد والديكتاتوريّة وتأييدها، والوقوف إلى جانب الإرهاب والأعمال الإجراميّة والتعسفيّة، وحتّى القيام بهٰذا النوع من التصرّفات وشـــنّ العدوان على سائر البلاد كما نـــراه اليوم بأمّ أعيننـــا من جانب بعض الدول الاســـتكباريّة والاستعماريّة.

ج. غفل الفكر الأنســـنيّ عن الكمال الحقيقيّ للإنسان الّذي يتحقّق من خلال نبذ الأهواء والميول النفســـانيّة، بل وجدنا أنّ هٰذا الفكر يســـاعد على ترسيخ الرذائل مثل المجون والظلم والتوحّش والفساد وسفك الدماء والعدوان و...

د. أنّ الإنسان الّذي يعدّ نفسه وهواها إلٰهًا له، لا يعتقد بالتكليف ولا يعترف إلّا بحقوقه الشخصيّة، فهو يعيّن حقوقه بنفسه ولا يرى نفســـه محكومًا بمن يعيّن له التكاليـــف، فله حقٌّ وليس عليه تكليفٌ وفق هٰذه الرؤية. وهٰكذا تصل الأنسنة إلى الحرّيّة المطلقة الّتي تنتهي بدورها إلى هتك حقوق الآخرين وممارســـة الظلم عليهم، كما وصلت إلى ذٰلك عمليًّا النازيّة والفاشـــيّة في أوربّا. ولٰكنّ هٰذا الإنســـان غير الملتزم بقيود الدين والعقل والأخلاق ليس حرًّا حقيقةً كما تدّعي الأنســـنة، بل هو مقيّدٌ بميوله، وعبد لأهوائه، ومســـتعدٌّ لكي يقوم بأيّ عملٍ إجراميٍّ من أجل الوصول إلى غاياته الشـــخصيّة. إنّ العقل والقلب هما

اللذان يميّزان الإنســـان عن الحيوان، وليســـت شهواته، ولن يكون الإنسان إنسانًا حقيقيًّا إلّا بتحرير عقله وقلبه، وليس بتحرير ميوله وشهواته الّتي تقيّد عقله وتختم على قلبه.

هـ. لقد سعت الأنســـنة إلى تحرير الإنسان من عبادة الله ﷻ، ولٰكن أرغمته في المقابـــل على عبادة الأصنام المتعدّدة؛ لأنّها ـ مع جعل الإنسان في مكان الله ـ تدعو إلى عبادة «أناه» بدلًا عن الله، في حين أنّ عبادة الـ "أنا" هي المبدأ الّذي يؤدّي إلى كلّ نوعٍ من أنواع عبادة الأصنام [Burggaeve, Desirable God?, 129].

رابعًا: الإنسان في النسق العَقَديّ

إنّ للإنســـان ـ بغضّ النظر عن البلد الّذي وُلد فيه، والعصر الّذي يعيش فيـــه، وخلفيّاتـــه الأُسريّة والبيئيّـــة والثقافيّة، وبغضّ النظـــر كذٰلك عن شخصيّته الخاصّة ورغباته وطموحاته ـ أسئلةً أساسيّةً يبحث عن إجاباتٍ لها، ولا يحصل على السعادة والكمال إلّا مع الحصول على صورةٍ واضحةٍ وصحيحةٍ حول نفســـه والعالم الّذي هو فيه، ويعتمد ذٰلـــك على الوقوف على إجاباتٍ صحيحةٍ عن هٰذه الأسئلة الأساســـيّة عن العالم: عن مبدإ العالم، وغايته، وحقيقتـــه، والهدف من إيجاده. ومن جانبٍ آخر يتمتّع الإنســـان بقوّةٍ فريدةٍ تميّزه عن الحيوان، وهو العقل الّذي يساعده على طرح هٰذه الأسئلة وفهمها، والعثـــور على الإجابة الصحيحة لها. فالعقـــل ـ وبالحجج المعتبرة المتعدّدة ـ يُـــدرك ويحكم بلزوم وجود خالقٍ غنيٍّ مطلقٍ لهٰـــذا العالم الممكن المحتاج، ويحكم بوجود البعد الروحيّ الثابت غير الفاني حتّى بعد موت الإنســـان إلى جانب بعده الجســـمانيّ، كما يحكم العقل بنقصان علمه ومحدوديّته وجهله

بكثيرٍ من الحقائق، ولا سيّما بتفاصيل الطريق إلى سعادته وكماله، وضرورة وجود الدليل وإرسال الرسل من قِبل الله للإيفاء بهٰذا الغرض أيضًا. فالعقل كافٍ لوحده في مدّ الإنسان بالإجابات اليقينيّة عن هٰذه الأسئلة، وإقناعه بها لتنبثق منها منظومةٌ عقديّةٌ تنظّم معارفه ورؤاه، وتنسّق حياته ونشاطاته في ضوئها. إنّ النسق العَقَديّ القائم على المنهج العقليّ لا يمكن أن يكون سدًّا أمام وصول الإنسان إلى السعادة والكمال، بل هو الطريق الوحيد الحقيقيّ للوصول إلى السعادة، ويتّضح ذٰلك من خلال الإمعان في النقاط التالية:

1. لا يمكن للإنسان أن يكون خاليًا من العقيدة، وإن لم يسمّها كذٰلك، فإنّه لا ينطلق من فراغٍ، بل يحكم على أساس مفترضاتٍ قبليّةٍ تلقّاها والتزم بها أو اعتقد بها من قبل. والأنسنة أيضًا لها نسقٌ ومنهجٌ وخلفيّاتٌ عقديّةٌ خاصّةٌ بها تنطلق منها وتحكم على أساسها، وإن لم يحب أتباع الأنسنة أن يُنعتوا بالمعتقدين، ولٰكنّ المشكلة هي أنّ الأسس النظريّة والمنطقيّة للأنسنة ضعيفةٌ وهشّةٌ لا تصمد أمام التقييم العقليّ؛ لأنّها بُنيت على الميول والأهواء كما مرّ بنا سابقًا، والحال أنّ منهج النسق العَقَديّ يفرض علينا أن نبني رؤيتنا الكونيّة من خلال الإجابة عن الأسئلة الأساسيّة على أساس القطع واليقين الناتج من الاستدلال العقليّ والمنهج البرهانيّ. فممّا لا يختلف فيه اثنان أنّ الأصول في الدين والعقيدة ينبغي أن تكون مبنيّةً على العلم واليقين، ولا اعتبار للعقيدة الظنّيّة الحاصلة من التقليد أو أيّ طريقةٍ غير علميّةٍ. نعم بعدما أثبت الإنسان حقّانيّة دينٍ أو نظامٍ عقديٍّ ما وأثبت صدقه ومطابقته للواقع، يعتمد على تعاليمه في التفاصيل والجزئيّات بطريقٍ علميّ.

2. أنّ للإنسان محوريّةً في النسق العَقَديّ أيضًا، بمعنى أنّ الغاية والهدف من النسق العَقَديّ هو أن يصل الإنسان إلى السعادة والحقيقة، فليس هناك

قيمةٌ للشـــعارات الفارغة والادّعاءات الوهميّة الّتي تمجّد الإنسان بعيدًا عن سعادته الحقيقيّة، بل من الواضح أنّ الّذي يُعدّ أكثر إنسانيّةً هو ذٰلك الطريق الّذي يأخذ بيد الإنســـان إلى الحقيقة والسعادة الحقيقيّة، ولهٰذا ما يرمي إليه النســـق العَقَديّ، وإن لم يســـمّ بمدرسة الإنسان أو الأنســـنة. وأيّ مدرسةٍ فكريّةٍ أبعد من الإنســـانيّة من مدرســـةٍ تخدع الإنسان وتبعده عن الحقيقة تحت ستار الإنسانيّة المزيّف، وإن سمّت نفسها بأسماءٍ جذّابةٍ وجميلةٍ. نعم، يعتقد النسق العَقَديّ بمحوريّة الله أيضًا، ولا تنافي بين محوريّة الله ومحوريّة الإنســـان لاختلاف معانيهما، فمحوريّة الله تعني أنّه هـــو الْمُبْدِئُ للوجود ومالكـــه وغايته، وهو المعبود والمشرّع الحقيقيّ، ومحوريّة الإنســـان تعني أنّ الخلق والإيجاد والتشريع وإرسال الرسل كلّها جاءت في سياق وصول الإنسان إلى الكمال والسعادة.

3. أنّ النســـق العَقَديّ يعطي الحرّيّة الفكريّة للإنسان بخلاف ما يعلنه أتباع الأنسنة أو سائر المدارس المناهضة للدين، ولٰكنّ الرؤية الأنسنيّة تقيّد الإنســـان، وتجعله يفكّـــر في إطارٍ محدودٍ، وينظر من زاويـــةٍ ضيّقةٍ رغم ما يدّعيـــه من حرّيّة الرأي والفكرة. ولا يلزم مـــن يتأمّل في المنهج الّذي تتبعه كلٌّ من مدرسة العقيدة والأنســـنة ومنطلقاتهما بذل عناءٍ كثيرٍ لإثبات هٰذه القضيّة؛ فالنسق العَقَديّ يدعو إلى المنهج البرهانيّ والعقل القطعيّ والابتعاد عن التقليد الأعمى والفكر الّذي يفتقد إلى الدليل، كما يعطي للعقل السلطة العليا في اختيار المدرســـة الفكريّة الصحيحة أو الدين الصحيح، ويحرّره من قيود الأوهام والظنون والخرافات. لٰكنّ الأنســـنة تبني فلسفتها وتوجيهاتها على مبـــانٍ فكريّةٍ غير ثابتةٍ، ورؤيةٍ كونيّةٍ غير محقّقةٍ، وتريد من الإنســـان أن ينطلـــق من خلفيّاتٍ قبليّةٍ من دون التدقيـــق فيها، وأن يقبل بتوصياتها للوصول إلى السعادة الدنيويّة، وأن يعطي مجالًا واسعًا للميول والأهواء. وليس

هٰذا ـ في الحقيقة ـ إلّا تقييدٌ للعقل، وحؤولٌ دون حرّيّته في البحث والنقد.

4. أنّ للنسق العَقَديّ رؤيةً شاملةً حول الإنسان، وينظر إليه على أنّه كائنٌ مركّبٌ من الجانبين المجرّد والمـادّيّ، وهذه الرؤية تتطلّب التوجّه والاهتمام بكلا الجانبين، وإعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه، في حين أنّ الأنسنة تغفل الجانب الروحي للإنسان مع أنّه البعد الأهمّ والجانب الأساس فيه. ومن جانبٍ آخر، يثبت المنهج العَقَديّ حجّيّة مصدر الوحي بالدليل والبرهان، وهٰكذا يفسـح المجال المعرفيّ أمام الإنسـان، ويجعله يتمتّع بمصادر معرفيّةٍ أكثر ممّا لدى القائلين بالأنسنة .

5. أنّ النسق العَقَديّ إذا كان صحيحًا ويسعى من أجل سعادة الإنسان، يؤمّـن الفضاء لإجراء برامجه وتوصياته وتطبيق فلسـفته؛ إذ إنّ مشروعه بُني في الأساس على اليقين والعلم. فالإنسـان أكثر التزامًا بالمعتقد اليقينيّ منه بالظنّيّ أو الوهميّ، وأقرب إلى تطبيق مشروعٍ مبنيٍّ على أسـسٍ واضحةٍ متينةٍ منه إلى تطبيق المشروع الأنسنيّ القائم على أسس نظريّةٍ مبهمةٍ. ومن جانبٍ آخر، فإنّ الإنسـان في النسق العَقَديّ يُعدّ عبدًا لله ومحكومًا بتبعيّة أوامـره واجتناب نواهيه، وإنّ الله ـ سـبحانه وتعـالى ـ غنيٌّ عن عبادة الإنسـان وتبعيّته له، بل يريد الله ﷻ سـعادة الإنسـان وفلاحه، فالتزام الإنسـان بعقيدته يضمن له السعادة خاصّةً مع الالتفات إلى أنّ هٰذا النظام العَقَـديّ الصحيح، والرؤية الكونيّة الحقّة تنتهيـان إلى نظامٍ أيدويولوجيٍّ سليمٍ وبرامج علميّةٍ حقّةٍ لتنظيم حياته.

وعلى الرغم من أنّ النسق العَقَديّ له منهجٌ واحدٌ في البحث ومعالجة الأمور، وهو المنهج البرهانيّ والعلميّ، إلّا أنّ له شؤونًا مختلفةً ووظائف متعدّدةً، فبينما

يهتمّ بالتأسيس والإثبات حينًا، يهتمّ بتبيين العقيدة المختارة أو بالدفاع عنها أو بنقد المدارس المنافسة لها حينًا آخر. وكما أنّ الإنسان يستطيع أن يدرس عقيدةً من بُعدٍ استعلائيٍّ (لمّيٍّ) من خلال مناشئها ومبادئها، فإنّه يستطيع أن يدرّسها من الأسفل (إنّيًّا) بملاحظة نتاجاتها وثمراتها. ويستطيع الإنسان أن يتساءل عن تعاليم مدرسةٍ ما هل هي متماسكةٌ ومتّسقةٌ أم تتنافى بعض تعاليمها مع البعض الآخر؟ هل تنسجم تعاليم مدرسةٍ معيّنةٍ ما مع الأصول الفكريّة والنظريّة لتلك المدرسة؟ هل تتناغم تعاليم نظامٍ عقديٍّ أو فكريٍّ ما مع الفطرة الإنسانيّة السليمة؟ و.... فيمكن ـ على سبيل المثال ـ المقارنة بين مدرسة الأنسنة والمدرسة الإسلاميّة في إجابتهما عن هٰذه الأسئلة. لقد قمنا بهٰذه المهمّة بالنسبة إلى مدرسة الأنسنة بصورةٍ مجملةٍ حينما كنّا ننقدها، أمّا بالنسبة إلى الدين الإسلاميّ، ولا سيما تعاليمه تجاه الإنسان، يتّضح للباحث ومن خلال دراسة مصادر هٰذا الدين مدى تلاؤم تعاليم الإسلام مع الفطرة الإنسانيّة. فلن يجد الباحث حتّى حكمًا واحدًا مخالفًا للفطرة الإنسانيّة، والشبهات المحتملة في البين ترفع بأدنى تنبّهٍ وتأملٍ.

النتيجة

تعاني مدرسة الأنسنة من مشاكل نظريّةٍ كثيرةٍ، لا سيّما في الصورة الّتي تُقدّمها عن الإنسان، فهي صورةٌ ناقصةٌ أحاديّة الجانب لا تهتمّ بكلّ أبعاد الإنسان الوجوديّة، ومن أهمّها البعد الروحيّ والإلٰهيّ. هٰذا بالإضافة إلى أنّها لا تستطيع أن تضمن السعادة الدنيويّة لكلّ أبناء الإنسان؛ لعدم وجود مرجعيّةٍ عليا غير الآمال والأهواء الإنسانيّة الّتي تتزاحم وتتعارض مع تزايد المجتمعات وتعدّد الحضارات والثقافات، فما استطاعت الأنسنة عمليًّا أن تخمد نيران الحروب، بل أتت بدمارٍ أكثر وباستعمار أوسع للشعوب والأمم

الأخرى. وفي المقابل يسعى النسق العَقَديّ الصحيح بمنهجه البرهانيّ أن يسبر أغوار الحقيقة؛ ولذلك يحاول أن يحصل على صورةٍ صحيحةٍ عن الإنسان مع معالجة كلّ أبعـــاده الوجوديّة بالاعتماد على العقل والوحي ـ هٰذا المنبع المعرفيّ الزاخر ـ الّذي ثبتت حجّيّته بالعقل. وبناءً على ذٰلك فإنّ الخريطة الّتي يرسمها النسق العَقَديّ لسعادة الإنسان وكماله تنسجم مع الحقيقة وتنطبق مع الواقع أكثر وتؤمّن الشعارات ـ الصحيحة منها ـ والخلّابة للأنسنة بصورةٍ واقعيّةٍ وبطريقةٍ أفضل بكثيرٍ من الأنسنة الّتي تسير أحيانًا على طريق كبت الغايات الّتي تهدف إليها وسحقها.

قائمة المصادر

1. ابن سيّده، عليّ بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم ج 1، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، 1421هـ .

2. ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ج 4، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قمّ، الطبعة: الأولى، 1404هـ.

3. الجرجانيّ، عليّ بن محمّدٍ الجرجانيّ، كتاب التعريفات، ناصر خسرو، طهران، الطبعة الرابعة، 1412هـ .

4. جوادى آملى، عبدالله، دين¬شناسى، مركز نشر اسراء، مطبعة جامعة المدرّسين، الطبعة الأولى، 1381ش.

5. الحسينيّ الزبيديّ، محمّد بن مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 5، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ .

6. الحميريّ، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج 7، دار الفكر، دمشق، 1420هـ .

7. الحمصيّ الرازيّ، سديد الدين، المنقذ من التقليد، ج 2، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قمّ، الطبعة الأولى، 1412هـ .

8. خسروپناه، عبدالحسين، كلام جديد، قم، نشر مركز مطالعات و پژوهش هاى فرهنگى حوزه ى علميّه، الطبعة الأولى، 1379ش.

9. دغيم، سميح، مصطلحات الإمام الفخر الرازيّ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

10. الشريف المرتضى، الذخيرة في علم الكلام، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، 1411هـ .

11. صليبا، جميـــل وصانعى دره بيدى، منوچهر، فرهنگ فلســـفى، منشـــورات الحكمة، طهران، الطبعة الأولى، 1408هـ .

12. الطوسيّ، نصير الدين، تلخيص المحصّل المعروف بنقد المحصّل، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ .

13. الفاضـــل المقداد، إرشـــاد الطالبين إلى نهج المسترشـــدين، منشـــورات مكتبة آية الله المرعشيّ، قمّ، 1405هـ .

14. الفراهيديّ، الخليل بـــن أحمد، كتاب العين، ج1، نشر الهجرة، قمّ، الطبعة: الثانية، 1409هـ .

15. الفيروزآباديّ، محمّد بن يعقوب، قاموس المحيط، ج1، دار الفكر، بيروت، 1403هـ.

16. الفيّوميّ، أحمد بن محمّد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيّ، ج 2، مؤسّسة دار الهجرة، قمّ، الطبعة الثانية، 1414هـ .

17. الكليـــنيّ، محمّد بن يعقوب بن إســـحاق، الكافي (ط ـ الإســـلاميّة)، ج 2، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الرابعة، 1407هـ .

18. مصباح، محمّدتقى، چكيده اى از انديشه هاى بنيادين اسلامى، قم، مؤسّسه ى پژوهشى امام خمينى، الطبعة الأولى، 1380ش.

1. Burggaeve Roger, Desirable God?: Our Fascination with Images, Idols, and New Deities, Peeters Publishers, 2003.

2. Committee on the Experiences and Challenges of Science and Ethics in the United

States and Iran, Policy and Global Affairs, In cooperation with the Academy of Sciences and the Academy of Medical Sciences of the Islamic Republic of Iran, National Research Council, The Experiences and Challenges of Science and Ethics: Proceedings of an American_Iranian Workshop, Washington, National academic press, 2003.

3. Davies Tony, Humanism, New York, Routledge, second edition published 2008.

4. Erich Fromm, The Revolution of Hope, New York, American Mental Health Foundation Ink, 2010.

5. Fromm Erich, The Art of Loving, New York, A& C Black, 2000.

6. Kurtz Paul, Embracing the Power of Humanism, Lanham, Rowman & Littlefield, 2000.

7. Law Stephen, Humanism: A Very Short Introduction, New York, OUP Oxford, First published, 2011.

8. Luik, John C., Humanism entry of Routledge Encyclopedia of Philosophy, London and New York: Routledge, Version 1.0, (1998).

9. Norman Richard, On Humanism, London and New York, Routledge, First published, 2004.

10. Pinn Antony B., What is Humanism and Why Does it Matter? New York, Routledge, 1 edition 2014.

11. Soper Kate, Humanism and anti_humanism, Hutchinson and Co. (Publishers) Ltd, First published, 1986.

12. Vaughn Lewis & Dacey Austin, The Case for Humanism: An Introduction,

Lanham, Rowman Littlefield Publishers, 2003.

13. Webster Merriam, Merriam_Webster's Collegiate® Dictionary, U.S.A, Merriam_Webster, Incorporated, 8th edition, 2005.

14. Wilkens Steve, Faith and Reason: Three Views, InterVarsity Press, 2014.

15. Faryde E.B., Humanism and Renaissance Historiography, The Hambledon Press 1983.

16. Lamont Corliss, The Philosophy of Humanism, New York, Humanist press., 8th edition, 1997.

17. www.americanhumanist.org